دروس الحديث الشريف الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

سلسلة الأحاديث القدسية

((خدمة الحق وعيادة المريض))

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما وعملا متقبلا يا أكرم الأكرمين:

عَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: **((يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي))**[مسلم].

كل الأحاديث وكل الآيات، وكل المواد الفقهية تدور حول هذين المحورين:

- ✓ **أن تحسن صلتك بالله.**
- ✓ **أن تحسن صلتك بالناس.**

فإذا فقدت واحداً من هذين المحورين، فإسلامك ناقص.

((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا...))

[مسلم]، حسن صلة بالناس بأن لا تظلم أحداً؛ وكنا قد تكلّمنا في حديث الأولياء عن حسن الصلة بالله، واليوم هذا الحديث عن حسن صلة بالناس، وهذا هو الإسلام .

لذلك مطلوب منك أن تبني حياتك كلها على:

- ✓ **حسن صلة بالله.**
- ✓ **وحسن صلة بالناس.**

فإذا فقدت واحداً من هذين المحورين، يكون عندك مشكلة في حياتك الدنيا، ثم مشكلة في حياتك الآخرة!.

الإنسان اجتماعي بفطرته، فمن غير الممكن أن يعيش إنسان على الأرض لوحده، فلا بد من الجماعة، والجماعة لا تقوم إلا على التعاون، والتعاون مبني على البذل، وأفضلنا عند الله الذي: **يخدم الآخرين أكثر، وسيد القوم خادمهم.**

هناك مبدأ يدرّس الآن في القيادة، في أنظمة سياسة عالمية، يسمى: **القيادة بالخدمة**، يعني كيف تكون سيداً فينا جميعا؟ وذلك بأن تخدمنا جميعاً، أكثر رجل يقدّم خدمات للمجموع سيرفعه المجموع سيداً عليهم.

لذلك اخدم العباد، وابذل في ذلك كل جهدك، وأنت رابح في ذلك في الدنيا، وفي الآخرة، سواء بالطعام أو بالشراب أو بالكساء أو بالغذاء أو بالدواء أو بالمناصرة أو بالمعونة أو بالتأييد أو بالعطف.

أحيانا إنسان يحتاج منك إلى كلمة فقط، مثلاً يوجد عندك عامل في الشركة، صار وقت زفافه، هو يحتاج منك فقط عندما يأتي إلى الدوام لأول مرة بعد العرس، أن تأتي إلى مكتبه وتبارك له، والله يشعر وكأنك أعطيته نصف الدنيا ، ويبقى أسبوع يتكلّم في الموضوع ! التعاون جميل.

هناك لذة للأخذ، لكن لذّة العطاء أكبر، فالذي يأخذ من الناس يشعر بسرور ، لكن الذي يُعطي يشعر بسرور أكبر.

وفي ضوء الحديث:

اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي...

هناك لذة كبيرة بأن تُقضى حاجات الخلق على يديك، هناك لذة كبيرة تنالها في روحك عندما يشفي الله تعالى مريضاً، وتكون أنت السبب في معاونته في هذا الشفاء.

فعندما تُطعم عبداً تجد ذلك عند الله، ونحن نعمل لله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:9].

لا يهمنا أن تُكتَب لوحة، ويُكتب فيها المحسن الكريم فلان!.

ليس مُهمّاً أن تصنع لوحة من الرخام، يكتب عليها أن الذي شيّد هذا القسم في المشفى هو الدكتور فلان، أو الشيخ فلان، أو التاجر الفلاني.

لوجدت ذلك عندي سنجد هذه الأمور عند الله عز وجل.

إذا سقيت الناس، إذا أجريت نهراً، إذا ساعدت في إيصال مياه صالحة للشرب إلى قرية لا يصلها الماء بشكل جيد، إذا ساعدت بتنقية بعض المياه التي تصل ملوثة، إذا لوجدت ذلك عندي، ستجد ذلك الأمر عند الله عز وجل.

وفي هذا الحديث لفتة لزيارة المريض:

((يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ،....

في الطعام والشراب يقول الله تعالى : **لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**...

أما في المرض يقول : **أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ** ....

يعني رحمة الله تجدها عند المريض؛ سبحان الله المريض يكون مكسوراً، يكون متعباً، أهله في الليل ينامون، ولعله هو لا يستطيع أن ينام، يبقى مستيقظا ماذا يفعل؟!.

إذا أوقظ زوجته هي متعبة ومستيقظة طيلة النهار، يوقظ أولاده لكن أولاده مشغولون، فلا يجد إلا أن ينادي ربه، لذلك تكون رحمة الله قريبة منه، وأنت عندما تزور المريض تجد رحمة الله عز وجل عند ذلك المريض.

الآن يوجد آداب في زيارة المريض، **بداية**: تُسنّ زيارة المريض، ويجب أن يكون في برنامجك الإسلامي زيارة مريض، وإذا علمت أن فلاناً مريض، كبيراً أو صغيراً، قريباً أو بعيداً، اذهب لعنده، لأن زيارة المريض فيها فائدة لأمرين:

فيها فائدة للمريض: **يستأنس بك**.

وفيها فائدة لك: **ترى نعمة الله عز وجل عليك**.

وتوجد أمراض لا تخطر لك على بال، مرّة كنا في المسجد نصلي التراويح، والشخص الذي يجلس قريباً مني، رجل في الستين من العمر، وعندما سجدنا لم يسجد، توقّعت أن عنده مشكلة في أسفل الظهر، فعندما فرغنا من الصلاة، قلت له: خيراً يا عم، لم أرك تسجد معنا، هل عندك مشكلة في ظهرك؟.

فقال لي: لا، لكن ضغط العين عندي مرتفع، فمنعني الطبيب من السجود. يعني أنت لا يخطر على بالك، أن ضغط العين إذا ارتفع لا تستطيع أن تسجد!

فإذا زرت مريضاً، فإنك ترى نعمة الله عليك في عينك في أنفك، في أذنك في الكلية، في الكبد، في رموش العيون، في شعر الرأس وما إلى ذلك، فأنت مليء بالنعم، التي لا تعدّ، ولا تحصى.

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: ((**أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع الجنائز وبعيادة المرضى**)).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**)) [مسلم]

- ✓ **فأولًا**: يُسنّ أن تزور المريض.
- ✓ **ثانياً**: يُسنّ تكرار الزيارة، وتسمى: **عيادة**، يعني أنك تعود إليه مرة بعد مرة.
- ✓ **ثالثًا**: يُسنّ أن لا تطيل الزيارة، يعني خمس دقائق أو عشر دقائق .

مَرِضَ الإمام أبو حنيفة، فعاده بعض أصحابه، فأطالوا الزيارة، وهو تعب؛ فأراد أبو حنيفة أن يؤدّبهم، فقال لهم: **قوموا فقد شفى الله مريضكم !**.

أحيانا يكون عند المريض بعض الحوائج، التي يريد أن يقضيها، ولا يستطيع أن يقضيها أمام الناس، أحيانا يتعب أو يضجر.

- ✓ **رابعاً**: يُسنّ إذا زرت مريضاً أن تدعو له ، والدعاء أن تقرأ سورة الفاتحة ، وأن تقول سبع مرات : **أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك**.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَيَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلَّا عُوفِيَ**)) [الترمذي]

وهناك دعاء ثالث مسنون:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَقُولُ: ((**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبْ الْبَاسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**)).[البخاري]

هذه الأدعية المسنونة.

أما أن تُحضر له خرزة زرقاء، وتضعها له، فهذا غير مشروع؛ أن تُحضر له عقيقة، وتضعها، هذا غير مشروع، أن تحضر قليل من الملح وتضعه في جيبه فهذا غير مشروع، أن يذبح شاة، ويضع يده في الدم، ويمسح به رأس المريض هذا غير مشروع!.

قد يقول الرجل: أنا أدعو له ؟! نقول له: نعم أنت.

أنتم كلكم معكم إجازة من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن تدعو للمريض، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَيَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلَّا عُوفِيَ**)) [الترمذي]

فأنت لا تحتاج إلى شيء ، فقط ادع للمريض بالشفاء، والباقي على ربّ العالمين، الآن أريد أن أتكلّم عن موضوع الورود أو الأزهار؛ وما نلاحظه من إرسال الأزهار إلى المشافي، وإلى غرف المرضى، وإلى بيوتهم، فإنني أرى وأظن أنكم تشاركوني في هذه الرأي، سواء في المرض أو في الأعراس، أو في الجنائز، هذا من السرف في المال، ولا ينفع، والحقيقة أحياناً هذا يتعب المريض، لأنه يجب أن يبحث عن كيفية معينة لنقل هذه الأزهار، أو إلى مكان يلقيها فيه، أو يحضر رجل يأخذهم ويعطيه على ذلك أجرة.

فلو استغنينا عن هذه الأزهار بكتاب نهديه لهذا المريض، لو استغنينا عن هذه الأزهار ببطاقات، يعني يوجد جمعيات خيرية، تأخذ بطاقة بإسم هذا المريض، وقل للمريض الذي زرته: نحن تبرّعنا على نية أن يشفيك الله تعالى.

والله أعلم هذا أنفع في الدنيا وأنفع في الآخرة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**داووا مرضاكم بالصدقة وحصّنوا أموالكم بالزكاة وأعدوا للبلاء الدعاء**))[البيهقي]

وأريد أن أنبّه إلى ملاحظة مهمة: إذا قُرأت الفاتحة على نيّة شفاء المريض، فلا يقل المريض: أتقرؤها على موتي ؟! **لا**، الفاتحة شافية، سماها النبي صلى الله عليه وسلم الشافية، فهي تشفي بإذن الله تعالى.

زار سيدنا عمر مريضاً، فقرأ عند رأسه سورة الفاتحة، فقام المريض نشيطاً، أَذِنَ الله في شفائه في تلك اللحظة.

وأنت لك أن تقرأ الفاتحة، وتكون قد آنست هذا المريض، ثم في قراءة الفاتحة، ومؤانسة المريض بالكلمات مادة نفسية قوية.

والحالات النفسية في المرض أكثر تأثيراً من الحالات الفيزيولوجية، يعني أحياناً بكلمة منك تنتفض همة هذا المريض.

أما إذا قلت له: والله كأن وجهك فيه صفرة، وأخشى أن يكون معك السرطان!.

إذا كنت لا تُحسن أن تتكلّم، لا تذهب لعند المريض، أرسل من يتكلم باسمك.

على كل الأحوال: التعاون بين الناس، بزيارة المرضى، بإكساء من يحتاج إلى الكساء، بتقديم الدواء لمن يحتاج الدواء، أو الغذاء، هذا من أسس هذا الدّين القويم.

نسأل الله تعالى أن يبارك لنا في أعمالنا وفي أعمارنا.

اللهم اجعلنا ندلّ عليك بألحاظنا وألفاظنا وقيامنا وقعودنا وبصمتنا وكلامنا وحركاتنا وسكناتنا، اللهم استخدم كل نعمة أنعمت بها علينا في خدمة دينك، وفي نشر رسالتك، وفي إعلاء كلمتك، وفي تبليغ سنة نبيك، وفي تيسير عسر أمور عبادك، واجعلنا يا إلهنا من عبادك الصالحين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.